﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ١﴾ [ص: 1]

❁ مُناسَبَةُ الآيةِ لِما قبلَها:

البُشرى بانتشار الدّين في الآفاق بعد تنزيهِ الله ذاتَهُ، وتشريفِه رسلَهُ

لمّا نزَّهَ ربُّنا ﷻ نَفْسَهُ في ختام سورة الصافّات عن كلِّ شائبةِ نقصٍ، وأثبت له كلَّ كمال ناصًّا على العزَّة، وأوجب للمرسلين السَّلامة؛ ناسب أن يفتتحَ هذه بالإشارة إلى دليل ذلك بخذلان مَنْ يُنازِع فيه، فأخبر النَّبيُّ بأنَّ أمرهم - مع الضَّعف الذي هم فيه والرَّخاوة والإطباق - مهيَّأٌ لعلوٍّ وانتشارٍ يملأُ الآفاق[1].

وثَمَّ وجهٌ آخرُ لمناسبة مطلع سورة (ص) لخاتمة ما قبلها: وهو أنَّه لمّا حكى الله ﷻ في خاتمة الصافّات أنَّ الكُفّارَ كانوا يَقولونَ: ﴿لَوۡ أَنَّ عِندَنَا ذِكۡرٗا مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٦٨﴾ [الصافات: 168]؛ لأخلَصوا العِبادَةَ لِلَّهِ، وأخْبَرَ أنَّهُم كفروا بالذِّكر لمّا جاءهم؛ بَدَأَ هَذِهِ السّورَةَ بِالقَسَمِ بِالقُرآنِ الذي كذَّبوا به، وأخْبَرَ عَنْهُم أنَّهُم كافِرونَ، وأنَّهُم في تَعَزُّزٍ ومشاقَّةٍ لِلرَّسولِ الَّذي جاءَ بِهِ، ثُمَّ ذَكَرَ مَنْ أهْلَكَ مِنَ القُرونِ الَّتي شاقَّتِ الرُّسُلَ؛ ليَتَّعِظوا[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلذِّكۡرِ﴾: (ذكر) أصلانِ، أحدهما: ذَكرتُ الشَّيءَ، خلاف نَسيتُهُ، ثُمَّ حُمِلَ عَليهِ الذِّكرُ باللِّسانِ، يَقولونَ: اجعَلْهُ مِنكَ عَلى ذُكْرٍ، أي: لا تَنْسَهُ[3]، وهو عند الرّاغب: هيئةٌ للنَّفس بها يُمَكِّنُ الإنسانُ أن يحفظَ ما يقتنيه مِنَ المعرفة، وتارةً يُقالُ لحضور الشَّيء: القلبُ أو القول[4]، ويرى العسكريُّ أنَّ أصلَ الذِّكر يعود إلى القوَّة، فيقول:

(1) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 322.
(2) أبو حيان، البحر المحيط: 9/ 134.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ذكر).
(4) الراغب، مفردات القرآن: (ذكر).

"والذِّكر بالقلب يرجع إلى القوَّة؛ لأنَّ الشَّيءَ يثبت في القلب مع الذِّكر، فكان له قوَّة، والذِّكر باللِّسان شبيهٌ بذلك، وهو في القرآن بمعنى: الشَّرفِ والنَّباهةِ، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ﴾ [الزخرف: 44]، وبمعنى: البيان، قال اللَّه: ﴿أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ﴾ [الأعراف: 63]، أي: بيان، وقال: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾ يعني: ذا البيان، وقيل: ما ذُكِرَ فيه مِنَ الأقاصيص والحلال والحرام"[1].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

القرآنُ ذو شرفٍ عظيمٍ، ودليلٌ دامغٌ على صِدق الرَّسول فيما يُبَلِّغُه عن ربِّه

تُخبر الآيةُ الكريمة أنَّ اللَّهَ سبحانه أقسمَ بالقرآن الكريم ذي الشَّرف العظيم، والمشتمل على مواقفَ وقصصٍ تُذكِّر النّاس، وتعظُهم بما ينفعهم في دنياهم وآخرتهم، على أنَّ الرَّسولَ ﷺ صادقٌ في كلِّ ما يُبَلِّغُهُ عن ربِّه، ولم يصدر منه أبدًا ما يخالف الحقَّ الذي أُمِر بتبليغه للناس[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

سرُّ الافتتاح بالحرفِ: ﴿صٓۚ﴾:

وجـوهُ إعـجـازِ البيان القـرآنيِّ متعدِّدةٌ متنوِّعةٌ

افتتح النَّظمُ الكريم السّورة الَّتي نزلت لبيان مصائر السّابقين، الَّذين شاقّوا اللَّهَ ورسلَهُ بـ: ﴿صٓۚ﴾، وهو أحدُ الحروفِ المقطَّعة الَّتي حار العلماءُ في تفسيرها، وعجز أربابُ الفصاحة والبلاغةِ مِنَ العرب عن فهمها والإتيان بمثلِها؛ للدَّلالةِ على إعجاز القرآنِ الكريمِ الَّذي قام على أحرفِهم الَّتي يتكلَّمون بها، ولكنَّهم مع ذلك لا يستطيعون أن يأتوا بمثلِها، وبجانب إعجازه البيانيِّ المتمثِّل في تركيبهِ من الحروف الَّتي يتكلَّمون بها، والَّتي تحدّاهم أن ينسجوا

(1) العسكري، الوجوه والنظائر، ص: 221.
(2) طنطاوي، التفسير الوسيط: 12/ 129.

على منوالها، وتشتمل هذه السّورةُ وغيرُها مِن سور القرآن على نوعٍ ثانٍ مِنَ الإعجازِ، يتمثَّل في اشتمالِها على المعاني والعِبر والعظات الَّتي تعظ النّاس، وتذكِّرهم، وتدعوهم إلى تأمُّل ما حدث للكافرين السّابقين الَّذين رفضوا اتِّباع المرسلين، وكفروا باللّه ربِّ العالمين، وهي أخبارٌ ومواقفُ لم يكن باستطاعة أحدٍ الإحاطةُ بها، ولا معرفةُ شيءٍ عنها.

سرُّ الافتتاحِ بالقسم وغرضُه:

تأكيدُ المُقْسَمِ عليه، والتَّنبيه إلى أهمّيَّة ما تتضمَّنه السّورة

بعد افتتاح السورة بالحرفِ القرآنيِّ: ﴿صٓ﴾ يأتي القَسَمُ بالقرآنِ الكريم، ذي الشَّرف العظيم، فالواو هنا على الأظهرِ أنَّها واو القسم، وذلك لتذكيرهم بما يهزُّ القلوبَ، ويرقِّقُها، ويوقظُها ممّا هي فيه مِنَ اللَّهو والغفلة؛ لتأكيد المُقْسَم عليه أوَّلًا، وللتَّنبيه إلى أهمّيَّة ما تتضمَّنه السّورةُ من معانٍ ومفاهيمَ لها عظيمُ الأثرِ في تحريك النُّفوس وتوجيهها إلى الطّاعات وزجرها عن المعاصي والمُخالفات، التي يأتي على رأسها الكفرُ باللّه تعالى، ومعاداةُ أنبيائه ورُسُلِه، الَّذين أرسلهم لإخراج النّاس مِنَ الظُّلمات إلى النّور.

سرُّ اصطفاء (القُرآنِ) مُقْسَمًا به:

تشريفُ القرآن وتعظيمه، ولفت الانتباه إلى ضرورة الإيمان به والعمل بما فيه

أوثِرَ القسمُ بـ (القُرآنِ) في مفتتحِ السّورة؛ تشريفًا له، وتعظيمًا لشأنِه[1]، ولفتًا لأنظار المخاطَبين إلى ضرورةِ الإيمانِ بهِ، والإقبال عليه، وفَهْمِ ما فيه، والاتِّعاظ بما يقصُّه مِن أخبار الأمم السّابقة، والعمل بما يأمر به، واجتناب ما ينهى عنه.

دلالةُ التَّعبيرِ بـ (القُرآنِ):

في التَّعبيرِ عن المقسمِ به بـ: (القُرآنِ) إشارتان: أولاهما: التَّنبيهُ إلى ضرورة المداومة على قراءتِه؛ لشرفِه واشتماله على ما ينفع القارئينَ في دنياهُم وآخرتهم، والأخرى: تنبيهُ المخاطَبين

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 203.

إلى ضرورة الاستماع لمن يقرؤه والإنصات عند قيام أحد بذلك؛ لِما للاستماع والإنصات مِن أثرٍ في الفهم المُفضي إلى العمل، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الأعراف: 204].

قـراءةُ القـرآن والإنـصـات لمَـنْ يـقـرؤهُ هـدايـةٌ وبركةٌ

دلالةُ قيدِ المُقسمِ به بوصف: ﴿ذِى ٱلذِّكْرِ﴾:

وُصِفَ (القُرآن) بـ ﴿ذِى ٱلذِّكْرِ﴾؛ زيادةً في تفخيمه، ودلالةً على شرفه، وتنبيهًا إلى اشتماله على ما يذكِّر النّاس، ويعظُهم، ويهديهم إلى صراط اللّه المستقيم، والمعنى: ذو "الموعظةِ والتَّذكير بما يُعرف، والعلوِّ والشَّرف والصِّدق الذي لا ريب فيه عند كلِّ أحد، فكلُّ مَن سمعه اعتقد شرفَهُ، وصدَّق الآتي به"[1].

تفخيمُ القرآنِ، والتَّنبيهُ إلى اشتمالِهِ على ما يعظُ النّاس وينفعهم

سرُّ الإضافة في قوله: ﴿ذِى ٱلذِّكْرِ﴾:

عبَّر النَّظمُ الكريم بـ ﴿ذِى﴾ مضافًا إلى ﴿ٱلذِّكْرِ﴾؛ لأنَّ ﴿ذِى﴾ تُضافُ إلَى الأشياءِ الرَّفيعةِ، فتجري على متَّصفٍ مَقْصودٍ التَّنْويهُ به، والتَّعظيم لشأنه[2].

دلالةُ التَّعبير بـ ﴿ٱلذِّكْرِ﴾:

سبق القولُ بأنَّ ﴿ٱلذِّكْرِ﴾ في القرآن له معانٍ كثيرةٌ، منها: الشَّرفُ والمكانة، ومنها: البيانُ المعجزُ، ومنها: الموعظةُ والتَّذكيرُ، ووصف (القُرآن) به في مفتتح السّورة يفيد هذه المعانيَ كلَّها، من غير تضارُبٍ بينها، ولا اختلاف في تأويلها، فالقرآنُ الكريمُ ذو شرفٍ كبيرٍ، ومكانة رفيعة عند اللّه تعالى وعند الخلق أجمعين، كما أنَّه ذو بيانٍ معجزٍ ولغةٍ ساحرةٍ، عجز أربابُ الفصاحة والبلاغة عن معارضتها أو النَّسج على منوالها، وأقرّوا جميعًا بعجزهم عن مجاراتها، وفيه أيضًا مِن قصص السّابقين وحكايات الغابرين

القرآنُ ذو شرفٍ ومكانة، وبيانٍ معجزٍ، يهدي إلـى الـصِّـراط المستقيمِ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 323.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 203.

ما يكفي لترقيقِ القلوب وتهذيب الطِّباع، وفيه تذكيرٌ بالواجبات وتوضيحٌ للمنهيّات الكفيلة بإخراج النّاس من الظُّلمات إلى النّور، وهدايتهم بإذن ربِّهم إلى الصِّراط المستقيم[1].

دلالةُ حذفِ جواب القسم:

القرآنُ الكريم مِن عند الله، ولذا عجز الكافرون عن معارضتِهِ

في تَعْيين جوابِ القَسَم قولان: "أوَّلُهُما: أن يَكونَ مَحذوفًا دَلَّ عَليهِ الحَرفُ ﴿صٓۚ﴾، فَإنَّ المَقصودَ مِنْهُ التَّحَدّي بِإعجازِ القُرآنِ وعَجزِهِم عَن مُعارَضَتِه، بأنَّهُ كَلامٌ بِلُغَتِهِم ومُؤَلَّفٌ مِن حُروفِها، فالتَّقديرُ: والقُرآنِ ذي الذِّكرِ إنَّهُ لَمِن عِندِ اللّهِ؛ لِهَذا عَجَزْتُم عَنِ الإتيانِ بِمِثلِه.

ثانيهما: أنَّ الجَوابَ مَحذوفٌ أيضًا دَلَّ عَليهِ الإضرابُ الَّذي في قَولِهِ: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ﴾، فَكَأنَّهُ قيلَ: إنَّهُ لَذِكْرٌ، ولَكِنَّ الَّذينَ كَفَروا في عِزَّةٍ وشِقاقٍ يَجْحَدونَ أنَّهُ ذِكْرٌ، ويَقولونَ: سِحْرٌ مُفْتَرًى، وهُم يَعلَمونَ أنَّهُ حَقٌّ[2].

والغَرَضُ مِن حَذْفِ جَوابِ القَسَمِ هُنا: الإعراضُ عَنْهُ إلَى ما هوَ أجدَرُ بِالذِّكرِ، وهوَ صِفَةُ الَّذينَ كَفَروا، وكَذَّبوا القُرآنَ عِنادًا أو شِقاقًا مِنهُم، ويمكن أن يكونَ الغرضُ مِن حذْفِهِ كونَهُ مفهومًا مِن المعنى والسّياق[3].

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 366.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 203.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 203.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والأربعون،
سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والأربعون، سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 49 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-641-51-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 49 : المجلد التاسع والأربعون، سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-641-51-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1524626 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»